جورج بهجوري:

عبد الناصر ضحك من قلبه عندما رسمته في كاريكاتير ساخر والسادات غضب ووضعني على القائمة السوداء!

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من عمر صادق:

اعتبر الفنان الكبير جورج بهجوري حصوله على جائزة الملك عبدالله الثاني للفنون بالأردن التي نالها مؤخرا رد اعتبار للتجاهل الذي يعانيه في مصر.
تلقى بهجوري نبأ فوزه بالجائزة بعد ساعات من افتتاحه معرضه في العاصمة عمان بعنوان «رسم؟ رسم».
جلبت عليه ريشته الساخرة موجة من الغضب الشديد، فقد أغضب نجوم المجتمع وقلب مواجع الكبار.
رسم عبد الناصر بطريقة ساخرة، وتوقع أن يقوم ناصر بسجنه، وفوجئ بإنه يضحك من قلبه على الكاريكاتير، أما السادات فقد تعامل مع الموضوع بشكل آخر عندما تجرأ بهجوري ورسمه في احدى الكاريكاتيرات، فقد غضب السادات وقام بوضع اسمه في القائمة السوداء بعدم دخوله مصر.
ـ البداية كما يقول جورج بهجوري كانت من خلال فن البورتريه، بدأ برسم الفنان الراحل حسين بيكار بطريقة ساخرة، ورغم ذلك استحسن بيكار موهبته وقام بتقديمه على الفور إلى الفنان الراحل صاروخان عام 1950 وينتقل بهجوري إلى مرحلة أخرى مهمة في مشواره عندما التقى بالفنان أبو العينين عبدالغني الذي كان مسؤولا عن تطوير مجلة روزاليوسف مع إحسان عبدالقدوس آنذاك ويطلب ريشة جديدة تغير من شكل أبواب المجلة وأعطاه الفرصة كاملة للتعبير عن موهبته وأثبت خلالها أنه متميز الاسلوب وحاضر النكتة ولم تسلم القيادات والأنظمة الحاكمة من سخرية ريشته حيث تناول عددا من رموز الحكم في أعماله وقام برسمهم بشكل كاريكاتوري يثير الضحك، ولم تتوقف ريشته عند الحكام فقط ولكن كان لرموز الغناء والطرب نصيب أيضا، والطريف أنهم جميعا أبدوا استياءهم من الصورة التي يرسمها لهم.
«القدس العربي» التقت الفنان الكبير جورج بهجوري أثناء حضوره افتتاح معرضه «البهجوري، نحاتا» بمتحف محمود مختار، وكان اللقاء.

جورج البهجوري (القدس العربي)

لوحة للبهجوري (القدس العربي)

■ رسمت الرئيس الراحل عبدالناصر بجرأة شديدة، ألم تخش العقاب؟ وهل توقعت أن يكون السجن مصيرك؟

■ **توقعت كل شيء، ولكن نظرة عبدالناصر كانت مختلفة، عندما رسمته في روزاليوسف توقعت أن يكون السجن والنفي نصيبي، ولكن المفاجأة لم أتوقعها، فقد ضحك عبدالناصر على الكاريكاتير جدا، ربما لم يجرؤ فنان أن يصوره بهذا الشكل، وجهزت نفسي لإلقاء القبض عليّ في أي لحظة من جانب أمن الدولة وانتظرت طويلا، ولكن عبدالناصر تعامل مع الموضوع بتحضر لأنه كان فنانا وقارئا ومثقفا وصاحب قلب، لهذا تعامل مع الأمر بالضحك فقط.**

■ وهل اختلف الأمر بالنسبة للرئيس السادات؟

■ **السادات غضب مني لدرجة أنه وضعني في القائمة السوداء ومنعني من دخول مصر حيث كنت وقتها أقيم في باريس، ولست وحدي الرافض لسياسة حكم السادات فقد كنا مجموعة كبيرة من أبرز المثقفين المصريين نعيش في باريس ونرفض سياساته خاصة بعد توقيعه لاتفاقية السلام مع إسرائيل عام 1979.**

■ من هم أبرز المثقفين المعترضين؟

■ **أسماء كبيرة ولامعة آنذاك مثل أحمد عبدالمعطي حجازي ومحمود السعدني ومحمود أمين العالم وغالي شكري وأمين اسكندر وعباس صالح وألفريد فرج وسعد زغلول فؤاد وغيرهم.**

■ في فترة إقامتك الإجبارية في باريس، ألفت كتابا عن السادات، ما اسمه، وماذا تتناول فيه؟

■ **الكتاب بعنوان «السادات» ووصفت فيه آيات الحب المبالغ فيها من جانب السادات لرئيس وزراء إسرائيل آنذاك مناحم بيغن عندما يلتقيان ويأخذه بالأحضان الدافئة ويردد دائما كلمة «صديقي بيغن» في وقت كان الشارع العربي يشتعل غضبا من جراء توقيع اتفاقية الاستسلام والتطبيع مع إسرائيل كل هذا سجلته في كتابي.**

■ قلت أن السادات أراد عقد صلح مع مجموعة باريس من المثقفين المصريين، كيف تم ذلك؟

■ **السادات أرسل إلينا عام 1980 السيد صلاح جلال وكان وقتها يشغل منصب نقيب الصحافيين فوجئنا بحضوره إلى باريس محملا بهدايا لنا عبارة عن ساعات وقال النقيب لنا أنتم قلتم عن السادات خائن لأنه عقد صلحا مع إسرائيل، وهو كذلك يصف مجموعة المنشقين عن الاتفاقية «كامب – ديفيد» بإنهم خانوا مصر، وكده بصره وأرجوكم اغلقوا هذا الملف، وطلب عودتنا إلى مصر وأكد بإن السادات صفح عنا وطوى القائمة السوداء إلى الأبد.**

■ وهل عدتم؟

■ **لم نعد، وبعدها بعام تقريبا اغتيل السادات في حادث المنصة الشهير، وعدنا بعدها مباشرة إلى مصر.**

■ **قلت أن ريشتك لم تسلم من سخريتك من رسومات للحكام، فهل طالبت أيضا الفنانين؟**

■ **أنا رسمت أم كلثوم وعبدالوهاب وفريد الأطرش وطول الوقت كان عبدالحليم ضيفا دائما علينا.**

■ ومن غضب من رسوماتك؟

■ **أم كلثوم وعبدالوهاب.**

■ لماذا أم كلثوم؟

■ **أم كلثوم غضبت مني عندما رسمتها أثناء وصلة غنائها «أنت عمري» حيث رسمت أحد المشاهدين يغط في نوم عميق وتصورت أم كلثوم أن المعنى المقصود هو أن الجمهور لا يريد الاستماع لصوتها وأنه يعبر بذلك عن طريق الخلود إلى النوم وظللت القطيعة بيننا لسنوات طويلة.**

■ وفريد الأطرش؟

■ **كان رجلا طيب القلب يبكي من أقل شيء ومع ذلك كان قلبه كبيرا وكان يتحمل النقد ولم أذكر أنه في يوم من الأيام اشتكى من رسوماتي رغم سخريتها له.**

■ هل تتذكر أول لوحة قمت برسمها؟ وعن أي شيء تدور، وبكم بعتها؟ ومن اشتراها؟

■ **أول لوحاتي بعتها بـ60 جنيها عام 1954، واشتراها مني الكاتب الصحافي الراحل كمال الملاخ وكانت تدور حول فكرة موضوع «أولاد الحارة» وقام بوضعها في غرفة الأديب الراحل نجيب محفوظ بجريدة الأهرام.**

■ قدمت نفسك مؤلفا من خلال كتاب عن الرئيس الراحل السادات، لماذا لم تستمر؟

■ **أنا لي 5 كتب في السوق أولها «ايقونة الطفولة» عن الطفل فلتس التي أحكي فيها عن مشواري وأنا طفل صغير، ثم كتاب «ايقونة الشباب» عن فترة عملي بالصحافة و«ايقونة باريس» عن مرحلة تواجدي في عاصمة النور باريس، وأخيرا كتاب هزلي بعنوان «بهجر في المهجر» وأتناول فيه رحلتي في فرنسا.**

■ بالرغم من كونك فنانا صاحب ريشة، إلا أن التمثيل استهواك فترة من الزمن، وتوقفت التجربة نهائيا، فما السبب؟

■ **جاءتني فرصتان للتمثيل واحدة في مصر والثانية في فرنسا ولكني فشلت فيهما لأنني لا أصدق انني ممثل، في الفيلم المصري لعبت دور زعيم عصابة، وكان من اخراج منير التوني، وفي فرنسا لعبت شخصية سائق شاحنة وأحس أنني تورطت كفنان.**

■ ولكنك عدت مرة أخرى للتمثيل من خلال فيلم تسجيلي جديد؟

■ **أنا ظهرت في الفيلم لمدة 3 دقائق ولعبت دور فنان وهي مهنتي في الحياة والمدهش أن هذا الفيلم حصل على جائزة مهمة حصل عليها المخرج أيمن الجزوي، وأتصور لو أن هناك مخرجا يستطيع أن يخرج ما بداخلي من طاقات لربما اختلف الأمر وأصبحت نجماً سينمائياً شهيراً.**

■ بعيدا عن عالم السينما والتأليف، ما هي أهم الجوائز العالمية التي حصلت عليها في مشوارك؟

■ **حصلت على الجائزة العالمية الأولى في الكاريكاتير عامي 85، 87 في روما واعتز جدا بها لأنها مختلفة.**

تداعيات

في أحضان «لويس كامويس»

فاروق وادي*

«ليست المدن، يا حبيبتي، كبيرة بطرقاتها
بل بشعرائها الذين أقيمت تماثيلهم فيها»
ناظم حكمت

■ ليس من قبيل المصادفة أن يتحدّث الكاتب الإيطالي، برتغالي الهوى والثقافة والعيش والعشق، "أنطونيو تابوكي"، عن شاعر البرتغال "لويس كامويس" (1524 ـ 1580)، مؤلف كتابها الكبير، ملحمة "لويسيداس"، الذي ربما يعادل، في الثقافة البرتغاليّة، القيمة الأدبيّة لـ "ألأوديسا" و"الألياذة" لهوميروس في اليونان، و"الكوميديا الإلهيّة" لدانتي في إيطاليا، وربما توازي أهميته الأدبيّة قيمة شكسبير في بريطانيا، مؤكداً حقيقة قدرة الفنون على خلق الحياة، لا هزيمة الموت فحسب. فحين تغنّى "كامويس" بالمكتشف "فاسكو دي غاما" وفاتحي إفريقيا والهند الشرقيّة من البرتغاليين الرواد، الذين قهروا البحار وأخضعوا الجغرافيا، يضيف تابوكي، فإننا: "يمكن أن نؤكد أن هؤلاء الأبطال لم يوجدوا سوى لأن كامويس تغنّى بهم"!
في منطقة "بيليم" (بيت لحم) على أطراف "لشبونة"، وأمام خريطة أرضيّة من الرخام الملوّن لأرض الله الواسعة التي بلغتها السفن البرتغاليّة في عصر الاسكتشافات، أقيم على حافّة نهر "التاجو" (التاج)، وعند نقطة التقاء ماء النهر بماء المحيط الأطلسي، تمثال هائل للرجال الذين ارتادوا الآفاق لاكتشاف الجغرافيا المجهولة للعالم وإخضاعها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، حيث أبحرت قبل قرون سفنهم التي تحمل أحلام بلاد كانت تتهيأ ذات يوم للسيطرة على مشارق الأرض ومغاربها.
لم يتح لي ضيق الوقت فرصة الاستغراق في تأمُّل التمثال الضخم وطرح السؤال الذي يهدف إلى التعرُّف على أسماء أولئك الرجال الذين ما زالوا يقفون في السفينة الحجريّة خلف "هنري الملاّح" و"فاسكو دي غاما" والتدقيق في ملامحهم وأسمائهم وأدوارهم. ولكن، لا شكّ في أن شاعر البرتغال الأكبر "لويس كامويس" (أو لويش كامويش، حسب النطق البرتغالي) هو من بينهم. فالذين عاشوا هول المغامرة في لجّة الماء، لا تقل أهميتهم في الوجدان والذاكرة الوطنيّة، عمّن خلّدوها بكتاباتهم.
مع ذلك، فإن المصادفة وحدها هي التي قادتني إلى القرية الساحرة "كونستانسيا" (القسطنطينيّة)، التي تبعد عن لشبونة أكثر من مئة كيلومتر، والقائمة عند عناق نهرين متعبين من طول المسير، "التاجو" و"زيزره". وتحت الأشجار الظليلة المتشابكة هناك، وجدت تمثالاً لكامويس يجلس وبيده كتابه الملحميّ، في مكان يُقال إنه عاش فيه. لكن ساراماغو، الذي لفت انتباهي في روايته إلى تمثال لكامويس في وسط لشبونة (لم يستوقفني للأسف) يرفض نظريّة المصادفة في العثور على تمثال آخر للشاعر في أمكنة لا تتوقّعها. فهو يؤكد، في "سنة موت ريكاردوريس" على أن "جميع الطرق في البرتغال تؤدي إلى كامويس"، مختزلاً أسطورته بالقول إن ذراعاه كانتا في حالة استعداد لخوض المعارك، فيما ذهنه كان منصباً على أوزان الشِّعر!
قالت لي "شهد": إن ساراماغو يعتقد جازماً، في كتاب له يرتحل فيه سائحاً في أنحاء البرتغال، بأن "كامويس"، بحساسيته المفرطة وشفافيّة روحه، لا بدّ وأن يختار العيش في مكان كهذا، يلتقي فيه نهران.
ولكتاب "كامويس" هذا أسطورته الخاصّة، إذ يُحكى أن السفينة التي كان الشاعر على متنها غرقت، فغادرها الشّاعر ومعه مخطوطته. ولقد ظلّ يسبح بيد واحدة، فيما كانت قبضته الأخرى تتشبّث بمخطوطة الكتاب المرفوعة إلى الأعلى بذراع لم يهزمها الكلل، فأنقذ المخطوطة من الغرق، ومنح الشعب البرتغالي ملحمته التي يفخر بها.
غير أن ملحمة "كامويس" تكاد لا تُذكر إلى جانب الملاحم الكونيّة الأخرى. وربما يعود ذلك إلى ما أطلق عليه ساراماغو ذات يوم "الصوت الجبان الخائف للبرتغال". فرغم التفرُّد المذهل للصوت البرتغالي، إلاّ أنه يبقى خافتاً وخجولاً، ويكاد لا يُسمع. وسواء كان وجه التقصير برتغالياً، أم من طرف الآخر، فإن الحقيقة التي أكدها الكاتب البرتغالي الوحيد الذي انتزع نوبل للآداب عام 1998، هي أن "تاريخ البرتغال ليس هو تاريخ أوروبا، ولكن تاريخ أوروبا لا يمكن تخيلُه أو تصوُّره دون تاريخ البرتغال". هذا القول يمكن تعميمه أيضاً على الأدب البرتغالي، الذي لا يمكن تخيلُ الآداب الأوروبيّة عبر إقصائه. ولعله من المفيد هنا الاعتراف بأن طريقاً آخر في البرتغال قادتني إلى "كونستانسيا" وجعلتني أتعثّر بتمثال "كامويس"، هي التي دفعتني لأن أبحث عنه بالعربيّة، لكنني للأسف لم أعثر على شيء.. أي شئ، ربما باستثناء إحدى الموساعات العالميّة على الشبكة العنكبوتيّة، الناطقة بلغة الضّاد، التي اكتفت (في أقل من سطر واحد يتبع الحديث عن فاسكو دي غاما)، بوضع اسم كامويس وتاريخ مولده وموته واسم كتابة الملحميّ، دون أن تضيف معرفة أخرى!؟

***

«سيزيلتينا»، السيِّدة البرتغاليّة التي رافقتنا إلى كونستانسيا، منحت مرافقاتنا من النساء اللواتي كنّ يتأملن تمثال صاحب "لويسيداس" سرّاً آخر من أسرار الكاتب وأسطورته الذاتيّة وأسرار تمثاله، عندما قالت: ثمّة اعتقاد سائد في البرتغال بأن المرأة التي تجلس في حضن كامويس للحظة لن تعرف التعاسة أبداً، وستبقى سعيدة إلى الأبد!
لم تتردد النساء بالمسارعة للجلوس في حضن تمثال شاعر يسند كتابه المفتوح على حجره، وأمام عيون أزواجهن، الذين لا شكّ بأنهم كانوا يرددون في دخيلتهم: "إنه مجرّد تمثال شاعر"!؟ فهل تكفي لحظة جلوس في حضن من المعدن البارد لبلوغ السعادة ونشوة الشعّر والمعرفة، أم أن المسألة تحتاج إلى استنطاق البرونز الذي صاغ تمثال الشّاعر؟!
شاعر لا نعرف عنه شيئاً، تكبر البرتغال به، وبتماثيله التي أقيمت وسط المدينة، وعند حافة الماء، وتحت أشجار "كونستانسيا" الوارفة، قرب ملتقى نهرين متعبين من طول المسير في المكان والزمان، وفي نهايات الطرق التي تقود كلّها إليه!

---

* كاتب من فلسطين
wadi49@hotmail.com

في استباحة المصطلح: وقفة ثانية تليها ثالثة

ناجي ظاهر*

■ تشهد حياتنا الثقافية في هذه البلاد، وصحافتنا خاصة، في هذه الفترة التعيسة، فوضى غير مسبوقة في مجال المصطلح التعبيري، فهذا المصطلح بات على قفا من يشيل، كما يقول اخواننا المصريون، وما دام لا احد ينظر اليك عاتبا ولو من طرف عين مُحبة، فبامكانك أن تطلق على نفسك ما تشاء من ألقاب وصفات، تمنيت أن تطلقها على نفسك، في فترات سابقة، ورجوت أن يطلقها عليك آخرون، دون أن يكون لك ما أردت وتمنيت.
ما أسهل أن يطلق احدهم على نفسه في هذه الفترة صفة شاعر أو فنان، أو حتى مفكر وفيلسوف، ما أسهل أن تتلقف الصحافة ووسائل الاعلام عامة، ما يرسله هذا الأحدهم، عبر الفاكس، قاتله الله، لتنشره دون أي تعديل، أو احترام للذات أو للقارئ، وما أسهل أن يتواطأ هذا الاحدهم، بصورة مباشرة أو غيرها، مع زمرة من الصحافيين محدودي الثقافة، واسعي الذمة، فيبادر هؤلاء الأخيرون الى اطلاق ما أراده واشتهته نفسه من الصفات عليه، دون أي تردد، تساعدهم في هذا مجموعات من الموظفين أشباه الجهلة ممن يعملون في صحف ومجلات تصدر في بلادنا.
قلت ان هذه الظاهرة مسبوقة، وها أنذا أتابع فأقول انني أشرت الى طرف منها، في مقالة غير هذه، تطرقت فيها الى عدد من المصطلحات الثقافية المستباحة، مثل اطلاق صفة الكاتب الكبير (رحمهما الله) أو المفكر، على صحافي كل رأسماله بعض التحليلات الهزيلة، أو صفة مفكر على باحث اجتهد قليلا في ترتيب بعض المعلومات، دون أن يكون له أي اجتهاد حقيقي في عالم الفكر، كما هو مفترض، ومثل صفة موسيقار، على متفنن لا يعدو رأسماله، كونه عازفا، درس أطرافا من موضوع الموسيقى، وما الى هذه من المصطلحات، وها أنذا أتابع.
فيما يلي أتطرق الى عدد من المصطلحات الاضافية التي رصدتها في الفترة الأخيرة.
× قصيدة ولوحة فنية: هذان المصطلحان باتا رخيصين، حد أنهما باتا يطلقان على أي كلام فارغ أو تجميع لألوان، لا يربط بينها وبين بعضها الآخر أي رابط، فما أن يبادر احدهم، خاصة من المبتدئين، الى كتابة منظومة من الكلام الموزع، حسب نظام خاص بات مألوفا، حتى يبادر للقول انه سيقرأ لك قصيدة، وانه يعد لكتابة قصيدة جديدة، وما الى هذا من كلام، أما على مستوى الابداع الفني، فما أن يشرع احدهم في توزيع الألوان على قطعة من القماش حتى يبادرك قائلا انه أنتج لوحة خارقة عزيزة الوجود، وانه بصدد انتاج لوحة أخرى، وينسى ذاك وهذا أيضا، أننا لا يمكن أن نطلق صفة قصيدة على أي كلام نكتبه، وأننا ينبغي أن نتمكن من وضع قصد فيما نكتبه من كلام، كي يجوز لنا اطلاق صفة قصيدة عليه، ناهيك عن أننا ينبغي أن نتمكن من الحد الأدنى لمعرفة فن الشعر، حتى يحق لنا استعمال هذه الصفة، أما على مستوى اللوحة الفنية، فان من يفاجئك بقوله انه أنتج لوحة، فانه كثيرا ما لا يعرف الفرق بين الرسمة واللوحة، وقل مثل هذا عن صفة فنان تشكيلي، فقد باتت هذه الصفة رخيصة، حد انه بامكان كل من تعامل مع هذا الفن، من بعيد أو بعيد، أن يطلقها على ذاته، ولن يعدم من يساعده في نشرها!!
× الشاعر: يكتب احدهم نصا شعريا، لا يهم أن يكون رديئا أو رديئا. يضع عليه واحدة من هاتين الصفتين. يرسل به الى احد المواقع الالكترونية، أو حتى احدى الصحف، فيقوم ذاك أو هذه، بنشر النص دون استبدال الصفة، كأن يضع المحرر صفة شعر بدل صفة شاعر. ويتلقف القارئ، خاصة الغشيم، هذه الصفة وكأنما احدهم أطلقها على صاحب المادة، ويتعامل معها بنوع من التقديس، ما يحرمه أولا من قراءة نص حقيقي، وما يساهم ثانيا في نشر ذائقة سقيمة، لا تميز بين غث وثمين من الشعر، وقد يؤثر، وهذا يؤثر بالفعل، على بعض القراء، خاصة للمواقع الالكترونية، ممن يتلقفون الصفة، كما وصلت اليهم، فيبادر الى كتابة تعقيب يحشوه بالمديح للصفة التي مُهر بها النص، وليس للنص ذاته، وما أكثر التعليقات المحبذة لنصوص سيئة، كتبها قراء من مواقع مختلفة من بلادنا ومن العالم العربي المحيط بنا، حول كلام فارغ، وقعه صاحبه بصفة شاعر، وما هو بشعر. وينسى من يطلقون على أنفسهم، وهم في الواقع يتناسون، أن آخرين هم من يطلقون علينا الصفات، بما فيها صفة شاعر، وليس نحن بأية حالة، على اعتبار أن مادح ذاته كمن يذمها.
× الأدب العالمي: هذه أيضا من الصفات والمصطلحات المستباحة، وحتى المضللة، فماذا يعني قولنا: الأدب العالمي، وهل يتضمن هذا القول فكرة مضمرة مفادها أن كل ما هو غير عربي من الأدب، ويترجم الى العربية عن طريق الصواب أو الخطأ، انما هو أدب عالمي؟ وما معنى أدب عالمي؟ اهو ذاك الذي يقرأ في بلدان غير تلك التي أنتج فيها؟ أم ذاك الذي وصل الى أعماق التجربة الانسانية، وارتفع عن مستوى التعامل الحرفي مع الواقع اليومي المعيش؟ هذا مصطلح ينبغي أن يناقش وألا يُمر عليه مرور الكرام، لأن من شأنه أن يكرس الدونية التي لا تنقص الكثيرين منا نحن العرب، كما انه يستهين بأدبنا، ويوحي بان كل ما عداه انما هو أعظم منه، هنا اطرح سؤالا: لماذا لا نستعمل مصطلحا آخر أكثر جدية من هذا وأعمق منه، مثل الأدب الأجنبي؟ اعتقد أن هذا مصطلح يحتاج الى مراجعة، ليس في بلادنا فحسب وانما في العالم العربي المحيط بنا أيضا، وأتساءل في سياق متصل، من أين نزل علينا مصطلح «الموسيقار العالمي» مثلا؟ وهل مجرد أن يمكث احدهم بضعة أعوام في بلاد أخرى، يمكن أن يمنحه مثل هذه الصفة؟ ثم أليس من الأجدر بنا أن نتساءل عن سبب مكوث هذا الأحدهم في الخارج، ولماذا ابتعد عن بلاده، وهل يمكن للانسان أن يبدع بعيدا عن مسقط رأسه، ابداعا حقيقيا يجسد طموحات حقيقية؟ أليس الأجدر بنا أن نطرح مثل هذه الأسئلة؟
هذه وقفة مع مصطلحات مستباحة، ومضللة أيضا، أردت بها لفتة أخرى تضاف الى سابقة، أما بالنسبة لاستعمال كثيرين منا لكلمات أجنبية، مثل: المايسترو، لقائد الفرقة الموسيقية، والريسطال للعزف المنفرد، والكورال للجوقة، فانها تحتاج الى وقفة ثالثة، لما تتضمنه من شعور بالنقص ازاء الآخر، ولما فيها من دونية مسيئة.

---

* كاتب من فلسطين

تقديم كتاب «العيطة» لحسن نجمي

الرباط ـ «القدس العربي»:

استضافت «مؤسسة الفكر» بالمقهى الأدبي بآسفي الشاعر والباحث المغربي حسن نجمي في لقاء لتقديم كتابه «غناء العيطة: الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب» شارك به الشاعر عبد الحق ميفراني والكاتب سعيد لقبي ومحمد الشقوري رئيس «مؤسسة الفكر» حيث اماط المشاركون اللثام عن بعض الحقائق والوقائع التاريخية التي صنعت لحظات بزوغ فن العيطة وإشراقه ومراحل ضموره وتواريه والتي رسخت تمثلات في الذاكرة الجمعية للمغاربة نالت من مكانة هذا الموروث الذي لم ينل حظه من البحث العلمي مثلما حظيت به تعبيرات ثقافية وفنية أخرى.

وأكد حسن نجمي أن «العيطة» لم تحظ بالاعتبار العلمي والأكاديمي معتبرا أنه «من الأمانة العلمية والأخلاقية صيانة هذا الفن وتوثيق متونه الشعرية باعتبارها تراثا موسيقيا له تاريخ عريق ومرتبط بأحداث ووقائع تاريخية هي ملك جماعي توارثه المغاربة جيلا بعد جيل».

وأضاف نجمي أن العيطة المغربية بتلويناتها المختلفة هي موسيقى تقليدية ينبغي أن يجري عليها ما يجري على الموسيقات التقليدية بالعالم «إذ لها نفس القيمة من حيث التركيب الموسيقي والتكوين والجمالية التي تجعل أمما ودولا اخرى تعتني بثقافاتها الشعبية».

واعتبر الكاتب العيطة، كشعر شفوي، جزءا من الرأسمال الرمزي للمغاربة والثقافة المغربية مثله مثل باقي الاشكال التعبيرية الاخرى كالملحون وطرب الآلة والعلاوي والموسيقى الحسانية والموسيقى الامازيغية مؤكدا أن كل هذه الالوان تشكل ذخيرة وكنزا غنائيا وشعريا وجزءا من الثقافة المغربية.

واستند نجمي الى هذا المعطى ليشدد على تعدد مكونات النسيج الثقافي المغربي الذي يشمل كل الانتاجات المكتوبة من قصة ورواية ونقد وفكر.. والانتاجات الرمزية (الوشم، نقش الحناء، الحياكة، الامثال والحكايات، الاغاني والفنون الشعبية...).

كما تطرق الكاتب لبعض عوامل التلف التي أصابت فن العيطة باعتباره شعرا شفويا منها عامل الذاكرة والاقصاء من التاريخ بالإضافة الى العامل الديني المتمثل في معاداة بعض الفقهاء خلال مراحل تاريخية لبعض أشكال التعبير الموسيقي والفرجوي فضلا عما لحق هذا الفن خلال الفترة الاستعمارية وغيرها من خدش وتشويه اتخذ من الاداء الجسدي للشيخات بالخصوص مشجبا للنيل من هذا الفن الأصيل.

وقدم نجمي شواهد تاريخية ووقائع تؤكد تجذر هذا المكون في النسيج الثقافي المغربي وتبرز ما مورس عليه من إقصاء ومحاولات محو من قبل المؤرخين.

واعتبر نجمي كتابه الأخير «غناء العيطة» الصادر عن دار توبقال اعترافا بجميل مدينة آسفي وبذاكرتها الثقافية ومبدعيها في هذا الفن، ومن بينهم الاخوة بنعكيدة والشيخة حفيظة المسناوية والشيخة عبشة وخديجة مركوم والشيخ جمال الزرهوني «الذين كان لهم دور في إنجاز عمل يحقق قدرا من الروح العلمية والأكاديمية حول ثقافة شعبية مكبوتة وملغاة من التاريخ الثقافي الوطني».

واعتبر الشاعر عبد الحق ميفراني أن الكاتب حسن نجمي وهو يعد بحثه القيم «غناء العيطة» «يستدعي تدشين مرحلة جديدة من البحث في هذا الموروث وذلك من خلال إثارة الانتباه الى مكون من مكونات الثقافة الشعبية» وان الكتاب «يروم تخطي بعض الافكار السامة حول فن مغربي أصيل ويعد مساهمة تنتصر لقيم تؤمن بأنه ليس بدعوى التحديث والتجديد ينبغي إهمال ثراء هذا العالم أو الطريقة التي يدرك بها الشعب نفسه».

كما اعتبر الشاعر أن كتاب «غناء العيطة» يعد فتحا لمسار جديد من البحث، نحو نوع من المصالحة مع الذات المركبة والمتعددة في وقت تبدو فيه الحاجة ماسة الى اعادة الاعتبار الى موسيقى مغربية مهددة وصيانة متونها الشعرية والموسيقية والفرجوية».